

211037 - الإسلام يحل مشكلات العصر ولا يصطدم مع حرية الإنسان وتطلعاته ورغباته

السؤال

الإسلام : هل يحلّ مشكلات الجيل المعاصر، أم يصطدم مع حريته ورغباته وتطلعاته نحو التقدم ؟

الإجابة المفصلة

أولا :

دين الإسلام هو خاتم الأديان ، وهو المهيم على جميع الكتب والشرائع السابقة ، والناسخ لها، والجامع لأصولها ومحاسنها ؛ فهو الباقي إلى قيام الساعة ؛ كما قال تعالى : (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ) المائدة/ 48 ، وقال سبحانه : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) المائدة/ 3 .

ولذا كان من أهم خصائص هذا الدين العظيم : أنه دين شامل ، كامل ، ثابت ، خالد ، يصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، وهو . وحده . ضمانه سعادة الدنيا والآخرة ؛ كما قال تعالى : (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) الأنعام/ 162.

ففي منهج الإسلام ما هو

كفيلٌ بحلّ جميع مشكلات الجيل المعاصر ، بل الدنيا بأسرها ؛ في جميع الجوانب : السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، وغيرها.

ونحن هنا ننقل لك كلمة أحد

المفكرين الغربيين ؛ يقول : " لو كان محمد صلى الله عليه وسلم حيا : لحل مشاكل العالم أجمع وهو يحتسي فنجانا من القهوة " ، وقيل : الذي قالها هو الكاتب البريطاني جورج برنارد شو المتوفى سنة (1950م) .

وليس ذلك ضربا من المبالغة ، كما قد يبدو في حماسة العبارة ، بل هو بيان لطبيعة دور الرسول في صلاح البشر ؛ فالرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن مصلحا يتبنى أفكارا إصلاحية من عند نفسه ، بل كان نبيا رسولا يتبع ما أنزل إليه من ربه ، وبهذا أمره الله تعالى : (اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (الأنعام/106 .

والله جل جلاله : هو الخالق الرازق ، خلق الخلق ، وهو أعلم بما يصلحهم ، ويستقيم عليه أمرهم ؛ كما قال تعالى : (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) الملك/14 .

ولينظر اللبيب المنصف ، إلى حال بلاد العرب في الجاهلية ، وكيف كان أهلها فيها ، ثم لينظر إلى حالهم في الإسلام ، وسوف يرى حجم التغيير الذي أحدثه الرسول صلى الله عليه وسلم في هؤلاء ، ولم يكن ذلك عن أمره ، ولا عن عبقرية مصلح بشري ؛ إنما كان اتباعا منه ، ودعوة إلى النور الذي أنزل عليه من ربه .
وإذا كان الله جل جلاله قد قبض نبيه إليه ، وفقدنا شخصه من بين أيدينا ؛ فإن دينه ، وهديه ، وسيرته : ما زال كل ذلك حيا لم يمّت ، جديدا في الناس ، لم يبئَل ؛ قد تعهد الله تعالى بحفظه ، فقال سبحانه وتعالى : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) الحجر/9.

ولا يُخدع الإنسان بمشاكل العالم الإسلامي اليوم وتخلفه ، فإن ذلك ليس بسبب تمسكهم بالإسلام ، بل بسبب بعدهم عن الإسلام ، فهم بعيدون عن الإسلام بمقدار تخلفهم وانحطاطهم بين الأمم .
ثانيا :

أما اصطدام الإسلام مع حرية الإنسان ورغباته وتطلعاته ، فليس الأمر كذلك ، والإسلام يراعي هذا الجانب من النفس البشرية ، جانب الرغبات ، ويقدره قدره ، وينكر على من يمنع النفس من تلك الرغبات ، ويعاند فطرته ؛ وإن كان يهذبها ، ويشرع لها ما يصونها ، ويحفظ عليها وظيفتها التي خلقها الله لأجلها .

ولذلك لما جاء بعض الصحابة رضي الله عنهم يستأذنون الرسول صلى الله عليه وسلم أن يمتنعوا عن الدنيا تماما وعن لذاتها ويتفرغوا للعبادة ، نهاهم الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولم يأذن لهم في هذا ، لأن هذا ينافي الإسلام ، والإسلام لم يطلب هذا من المسلمين ، وفي هذا يقول سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : " رَدَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ التَّبْتُلَ ، وَلَوْ أذِنَ لَهُ لَأَخْتَصَيْتَنَا " رواه البخاري (5074) ، ومسلم (1402) . "والتبُّلُ : هُوَ تَرْكُ

لَذَاتِ الدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهَا ، وَالْإِنْقِطَاعِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى
بِالتَّفَرُّغِ لِعِبَادَتِهِ ” .

ولما جاء آخرون وأرادوا أن
يمنعوا أنفسهم رغبات النفس في الزواج والطعام والشراب والراحة ، فقال أحدهم : ”
أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أَصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا ، [يعني : ولا ينام] ، وَقَالَ
آخَرُ : أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أَفْطِرُ ، وَقَالَ آخَرُ : أَنَا
أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا ، وَقَالَ آخَرُ : أَنَا لَا أَكُلُ
اللَّحْمَ ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ
، فَقَالَ : (أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا ! أَمَا وَاللَّهِ ،
إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ ، وَأَتْقَاكُمْ لَهُ ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأَفْطِرُ
، وَأَصَلِّي وَأَرْقُدُ ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ ، فَمَنْ رَغِبَ عَنِّي
فَلَيْسَ مِنِّي) رواه البخاري (5036) ، ومسلم (1401) .

والإنسان إذا لم يهذب رغباته
، وأطلق لها العنان : لم تقف عند حد ، بل ستهبط بالإنسان إلى درجة هي أخط من درجة
البهائم التي تلبى رغباتها في الطعام والشراب والشهوة بلا ضابط ، ولا قانون مضطرد ،
ولا خلق قويم ، ولذلك وصف الله تعالى الكافرين المعرضين عن هديه بأنهم أضل من
الأنعام ، فقال سبحانه : (أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ
هُمُ الْغَافِلُونَ) الأعراف/179 ، وقال تعالى : (إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ
بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا) الفرقان/44 ، وقال سبحانه : (وَالَّذِينَ كَفَرُوا
يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى
لَهُمْ) محمد/12 .

ولقد رأينا ، ورأى الناس ،
كيف بلغ الحال بذلك التسيب ، والسعار الشهواني في الغرب ، ورأينا أن القوم لم
يكتفوا بغض النظر عن الفساد الجنسي ، والشذوذ ، ولم يسمحوا به ، فقط ؛ بل صار زواج
المثليين : مقبولا ، مقننا في بعض هذه الدول ، تعترف به الكنيسة نفسها !!
إن رغبات الإنسان كثيرة : المال ، والجاه ، والشهوة ، والترف ، واللهو ، والتمتع
بكل ما حوله ، والتطلع إلى معرفة أسرار الكون والقوى الكامنة فيه ، والتطلع إلى
تيسير الحياة بالاختراعات والاكتشافات ، والتطلع إلى تعمير الأرض ، والتطلع إلى

التغلب على جميع مشكلاته التي يواجهها في حياته ... إلخ .
فلماذا تقف النظرة القاصرة عند رغبة واحدة ، هي الرغبة الجنسية ..
ثم تقف عند هدف واحد لهذه النظرة المريضة : أن يطلق لها العنان ، كيفما تشاء؟!
فمتى كان الإنسان إنسانا ، لأجل ذلك السعار ، والانحطاط؟!
ولم لا ينظر إلى حكم تهذيبها ، وتأديبها ، والمحافظة عليها ، والمحافظة على الناس
منها؟!!

إن هدي الإسلام في ذلك ، هو
هديه في شأنه كله : وسط ؛ فلا إفراط ، ولا تفريط ؛ لا يصطدم مع هذه الرغبات ، بل
يهذبها ، ويسمح لها بالقدر الذي لا يسيء إلى الإنسان الذي كرمه الله ، بل يرقيه في
سلم المخلوقات حتى يكون قريبا من الملائكة الذين خلقهم الله بلا رغبات ولا شهوات.

نسأل الله أن يكون فيما
كتبناه كفاية ، مع أن الموضوع يحتاج إلى بسط أكثر وأكثر ، غير أن هذا هو الذي
يتناسب مع منهج الموقع وطريقته .

ونسأل الله تعالى أن يرد
المسلمين إلى دينهم ردا جميلا ، وأن يقر أعيننا بذلك ، وأن يشفي صدورنا من أعداء
هذا الدين .

والله أعلم .